مناهج المفسرين بين الأثر والتجديد
عرض ونقد

أ. د. عيادة أيوب الكبيسي

جامعة الشارقة/ كلية الشريعة

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

Research Abstract
Methods of Interpreters between the Athar and Modernization
Presentation and Analysis

Scholars swarmed to the Book of Allah, reciting it the way it deserves, and showing to the people its hidden provisions and wisdom. The movement of authoring in the interpretation of the Quran continued over the centuries until today, and will remain so as long as time and day and night.
The methods of interpretation were not one, and methods were not in agreement, but varying and different.
This research is a presentation of those methods, clarifying the correct one from the others.

The research focused on two methods, namely the Athar method and the method of modernization, citing examples of both methods in ancient and modern interpretation, and showing the relationship between them accompanied with criticism and explanation.

The research concluded that the relationship between them is divided into two categories:
The unacceptable relationship; which is the one based on the demolition and cancellation, and the acceptable relationship; which is based on the addition and construction.

ملخص البحث

لقد أقبل العلماء على كتاب الله تعالى يتلونه حق تلاوته، ويكشفون للناس مكنون أحكامه وحكمته، فتسلسلت حركة التأليف في تفسير القرآن الكريم على مرّ القرون حتى أيامنا هذه، وستبقى كذلك ما بقي الزمان وتعاقب الملونان.

وطريقة التفسير لم تكن واحدة، والمناهج فيه لم تكن متفقة، بل هي متنوعة مختلفة، وفي هذا البحث عرض لتلك المناهج، وبيان الصحيح من غيره، وقد تم التركيز على منهجين وهما منهج الأثر ومنهج التجديد، وذكر نماذج منهما في القديم والحديث، وبيان العلاقة بينهما مع النقد والتوجيه.

وخلص إلى أن العلاقة بينهما على قسمين:

علاقة مرفوضة وهي ما قامت على الهدم والإلغاء، وعلاقة مقبولة وهي التي تقوم على الإضافة والبناء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعله قرآنا عربيا غير ذي عوج، سالما من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، وقيض له من جهابذة العلماء الأفذاذ من يفسره في كل عصر وزمان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، المكلف بنص القرآن بالبيان، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الظلام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فلا ريب أن الاشتغال بكتاب الله تعالى، حفظا وتلاوة وتفسيرا وتدبرا وعملا، من أجل الأعمال وأهم المقاصد، وأنبل الغايات.

ومنذ أن نزل الكتاب الحكيم على قلب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وتلقته الأمة منه صلى الله عليه وسلم، أقبل العلماء عليه يتلونه حق تلاوته، ويكشفون للناس مكنون حكمته، ويطلعونهم على ما أودع الله تعالى فيه من الأحكام والمعارف والأسرار، كل حسب طريقته ومنهجه، وما آتاه الله تعالى من إمكانات، وما منحه من قدرات.

ولا يخفى على المشتغلين بالدراسات القرآنية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المفسر الأول لكتاب الله تعالى، كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}[1].

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

ولقد بين صلى الله عليه وسلم للأمة كل ما تحتاج إليه من كلام ربها تبارك وتعالى، وأجاب عما سئل عنه من ذلك، إجابة توضح الغموض وتحل الإشكال، وتزيل الشبهة.

ولكن بما أنه صلى الله عليه وسلم رسول يوحى إليه من لدن حكيم خبير سبحانه وتعالى، فقد اقتصر في ذلك البيان وتلك الأجوبة، على ما تقتضيه الحكمة، وتتحقق به المصلحة، معرضا عما عسى أن يكون فتنة للناس مما تكل عن استيعابه مدارك أهل عصره، ولذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفسر كل القرآن[1]، وقد أحسن الأديب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى إذ قال ـ وهو يتحدث عن عدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لكل القرآن ـ:

(وهذا وحده يجعل كل منصف يقول: أشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول، إذ لو كان صلى الله عليه وسلم فسر للعرب بما يحتمله زمنهم، وتطيقه أفهامهم، لجمد القرآن جمودا تهدمه عليه الأزمنة والعصور بآلاتها ووسائلها، فإن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم نص قاطع، ولكنه ترك تاريخ الإنسانية يفسر كتاب الإنسانية، فتأمل حكمة ذلك السكوت، فهي إعجاز لا يكابر فيه إلا من قلع مخه من رأسه)[2].

وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، تولى العلماء من أصحابه رضي الله تعالى عنهم مهمة التفسير من بعده صلى الله عليه وسلم، إذ هم أهل

---

(١) مسألة تفسير النبي صلى الله عليه وسلم كل القرآن، موضع اختلاف بين أهل العلم، بسطناها في غير هذا الموضع، وخلاصة ذلك: أن النتيجة التي ترتاح إليها النفس، أنه صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كاملا، إنما فسر قدرا لا بأس به مما دعت إليه الحاجة في زمانه، ثم ترك لأهل كل عصر يفهمون من كتاب ربهم ما يناسبهم، وفق الشروط المعلومة التي ذكرها العلماء بهذا الخصوص.

(٢) انظر إعجاز القرآن ص١٠ هامش١.

اللسان الذين نزل القرآن بلغتهم، مع ما منحهم الله تعالى من اتقاد القريحة وصفاء النفوس وطهارة القلوب، وما كانوا يشاهدونه من أحوال الوحي وأسباب النزول.

وصنع التابعون من بعدهم مثل صنيعهم، وأضافوا إلى التفسير ما تطلبته أيام عصرهم، ومن ثم تسلسلت حركة التأليف في تفسير القرآن الكريم عبر القرون حتى أيامنا هذه، وستبقى كذلك ما بقي الزمان وتعاقب الملوان.

إن طريقة التفسير لم تكن واحدة، والمناهج فيه لم تكن متفقة، بل قد ظهرت طرائق متعددة، ومناهج مختلفة، وسنشير هنا إلى أبرز تلك المناهج وأشهرها باختصار على النحو الآتي:

١- المنهج الأثري، وهو المسمى "التفسير بالمأثور" أو بالرواية، وسيأتي تفصيل القول فيه إن شاء الله تعالى.

٢- المنهج العقلي، وهو المسمى "التفسير بالرأي" أو بالدراية، ويقسم إلى قسمين: محمود وهو ما توافرت فيه الشروط اللازمة التي ذكرها علماء علوم القرآن وأصول التفسير، ومن أشهر كتبه: مفاتيح الغيب للإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان (ت ٧٤٥هـ)، وغيرها، ومذموم وهو ما كان بالرأي المجرد، ويدخل فيه تفاسير الفرق المخالفة لأهل السنة.

٣- المنهج اللغوي، وهو تفسير القرآن باللغة التي نزل بها، والعناية بالإعراب والاشتقاق اللغوي، والوقوف عند حروف اللغة وشرحها شرحا نحويا وافيا، ومن أشهر كتبه: معاني القرآن لأبي زكريا يحيى للفراء (ت ٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج (ت٣١١هـ)، والدر المصون للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ).

٤- المنهج الإشاري، وهو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارات تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين من أرباب السلوك والمجاهدة، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد، وقد يسمى بالتفسير الصوفي الفيضي على تفصيل في ذلك، ومن أشهر كتبه: تفسير القرآن العظيم للإمام أبي محمد سهل التستري (ت٢٨٣هـ)، وأنوار الفرقان لملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، وروح المعاني لأبي الثناء الآلوسي (١٢٧٠هـ).

٥- المنهج الباطني، وهو بخلاف المنهج الإشاري، ويعني إلغاء الظاهر، ويقولون: إن المراد من القرآن باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، وهؤلاء قد نقضوا عرى التفسير من أساسه، ومن ذلك كتابات فرق الباطنية والبابية والبهائية وما شابهها.

٦- المنهج الفقهي، وهو ما يسمى بأحكام القرآن، أو تفسير آيات الأحكام، ومن أشهر كتبه: كتب أحكام القرآن للشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وللجصاص الحنفي {ت ٣٧٠هـ)، ولابن العربي المالكي (ت ٥٤٠ هـ).

٧- المنهج العلمي، على اعتبار أن القرآن قد اشتمل على علوم كثيرة، أو على كل العلوم كما يرى بعضهم، وقد توسع هذا العلم في عصرنا، وأنشئت هيئات خاصة تعنى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ويعد تفسير جواهر القرآن لطنطاوي جوهري من أشهر ما كتب في هذا المنهج، ولهذا المنهج شروط وضوابط لا بد من الالتزام بها، والسير في ضوئها، إذ الإخلال بها يؤدي إلى انحرافات تفسيرية غير محمودة.

٨- المنهج البياني، بمعنى تدبر البيان القرآني، وذلك باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، عرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماسا لسرها البياني،

ويقرب منه المنهج الأدبي، وهو الذي ينظر إلى القرآن كوحدة موضوعية متناسقة متكاملة، ومن أشهر ما كتب بهذا الخصوص: في ظلال القرآن لسيد قطب، وما كتبته الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في تفسيرها البياني.

٩- المنهج التجديدي، وهو ما أضافه العلماء في العصر الحاضر، أو ابتكروه، مما قد يتفق مع المنهج السليم للتفسير أو يختلف عنه، كما سيأتي تفصيل ذلك في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

يمكن أن نعتبر هذه المناهج هي أهم الأساليب التي اتبعها المفسرون في تفسير كتاب الله تعالى على مر الدهور، وتعاقب العصور.

وبعد التأمل في هذه المناهج، رأيت أن أسلك المنهج التحليلي النقدي، وأن أجعل الدراسة تنحصر في المنهج الأثري، وهو التفسير بالمأثور، وعلاقته بمناهج التجديد، لما لذلك من أهمية بالغة في توضيح المنهج السليم في تفسير كتاب الله تعالى، ولما له من أثر بالغ في تحقيق العصمة من كثير من الانحرافات التفسيرية، التي منيت بها بعض تلك المناهج.

وقد اشتملت خطة البحث على:

مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: فهذه.

وأما التمهيد: فبينت فيه المراد بـ:

ـ مناهج المفسرين.

ـ التفسير بالمأثور.

ـ التجديد.

وأما المبحث الأول: ففي أقسام التفسير بالمأثور وأهميته وحكمه.

وفيه ثلاثة مطالب:

١- أقسام التفسير المأثور، وأشهر ما ألف فيه.

٢- قيمته ومدى الحاجة إليه.

٣- حكمه من حيث القبول والرد.

وأما المبحث الثاني: ففي العلاقة بين التفسير بالمأثور والتجديد.

وفيه ثلاثة مطالب:

١- الهدم والإلغاء.

٢- الإضافة والبناء.

٣- نماذج من المنهجين في القديم والحديث ونقدها.

وأما الخاتمة: ففيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

مع بعض التوصيات والمقترحات.

والله تعالى وحده هو الموفق والمستعان.

تمهيد

أولا: تعريف مناهج المفسرين:

مناهج المفسرين: مركب إضافي، لا بد لتعريفه من تعريف جزأيه، ثم تعريفه بعد أن أصبح فنا مدونا.

١- المناهج: جمع منهج، وهو لغة: بمعنى الإبانة والوضوح، يقال: نهج الطريق نهجا ونهوجا، وقد نهج الأمر وأنهج: إذا وضح واستبان، والنهج: الطريق المستقيم، والمنهج كالمنهاج، وفي التنزيل الحكيم: {لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا}[(١)]، وفي حديث العباس رضي الله تعالى عنه: (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركككم على طريق ناهجة) أي: واضحة بينة[(٢)]. واصطلاحا: هي الطرق الواضحة في التعبير عن شئ ما بنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة[(٣)].

٢- المفسرون: جمع مفسر، وهو من توافرت فيه الشروط اللازمة، وأصبح أهلا لخوض غمار تفسير القرآن الكريم، والكشف عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

٣- مناهج المفسرين: هي الطرائق التي يرسمها المفسرون، للسير على ضوئها في الكشف عن مراد الله تعالى، واستخراج حكم القرآن الكريم وأحكامه، وفق وسعهم وطاقتهم البشرية.

ثانيا: التفسير بالمأثور:

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) انظر مفردات القرآن ص ٨٢٥، النهاية ١٣٤/٥، القاموس المحيط ٤٣٢/١، المعجم الوسيط ٩٥٧/٢ مادة: نهج.

(٣) انظر مناهج المفسرين للدكتور محمود النقراشي ص ١٣، ومناهج المفسرين للدكتور مصطفى مسلم ص ١٤.

أما التفسير لغة: فإن محور مادته هو الكشف والإيضاح، ومنه قوله تعالى: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}[1] فالفسر الإبانة وكشف المغطى، يقال: فسرت اللفظ فسرا، من باب ضرب ونصر[2]، وقال الراغب: الفَسْر والسَّفْر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[3].

وأما اصطلاحا: فقد تعددت تعريفاته، ولعل أحسنها وأجمعها قول من قال: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[4].

وسر ترجيح هذا التعريف على غيره لأمرين:

الأول: كونه مختصرا وجامعا مانعا.

الثاني: لقيد بقدر الطاقة البشرية، إذ الوصول إلى مراد الله تعالى متعذر، ولملاحظته الغاية من نزول القرآن الكريم.

وأما المأثور، لغة: فهو مأخوذ من الأثر، وهو بقية الشئ، جمع آثار وأثور، والأثر: مصدر قولك أثرت الحديث آثره، إذا نقلته عن غيرك ورويته، ومن هنا قيل: حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضا أي ينقله خلف عن سلف[5].

---

(١) الفرقان، آية: ٣٣.

(٢) انظر القاموس ١٥٦/٢، التعريفات ص٨٧.

(٣) انظر مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني ص ١٦٢، ومفردات القرآن له ص ٦٣٦ مادة: فسر.

(٤) انظر مناهل العرفان ٦/٢.

(٥) انظر لسان العرب ٦٩/١، والقاموس ٦٨٢/١ مادة: أثر.

واصطلاحا: ما جاء في القرآن الكريم نفسه، أو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه رضي الله تعالى عنهم، بيانا لمراد الله تعالى من كتابه[1].

ثالثا: مناهج التجديد:

تقدم الكلام في المناهج، وأما التجديد:

فبالرجوع إلى قواميس اللغة نجد أنهم قالوا: جد يجدّ فهو جديد، وجدده واستجده: صيره جديدا، فتجدد، والجديد: ضد البلى[2].

والتجديد في أصل معناه اللغوي ـ كما يقول الشيخ بسطامي ـ يبعث في الذهن تصورا تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة[3]، لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويستلزم كل واحد منها المعنى الآخر، وهذه المعاني كالتالي:

١- أن الشئ المجدد قد كان في أول الأمر موجودا وقائما، وللناس به عهد.

٢- أن هذا الشئ أتت عليه الأيام فأصبح قديما.

٣- أن ذلك الشئ قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق.

وبالرجوع إلى الكتاب الكريم لم نجد فيه لفظ التجديد، إنما وجدنا لفظ {جديد}، وذلك في ثلاث آيات وهي قوله تعالى: {وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا}[4]، وقوله تعالى: {بل هم في لبس من خلق

(١) انظر مناهل العرفان ١٢/٢، والتفسير والمفسرون ١٥٢/١.

(٢) انظر القاموس المحيط ٥٥١/١، المعجم الوسيط ١٠٩/١.

(٣) انظر مفهوم تجديد الدين للأستاذ بسطامي محمد سعيد ص ١٥.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٩.

جديد}[1] ، وقوله تعالى: {وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد}[2] .

والمراد بالجديد في الآيات الكريمات، هو البعث والإعادة، وهو ما كان يستبعده المشركون ويتعجبون منه.

ولدى التأمل في المعنى اللغوي، نستطيع أن نقول: إن إطلاق لفظ التجديد على الدين إطلاق سليم، ويمكن أن نعد قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[3] أصلا لهذا الفهم السليم، و مثله ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله، كيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله)[4] .

وهذا الفهم هو الذي عناه أبو سهل الصعلوكي[5] رحمه الله تعالى بقوله: أعاد الله هذا الدين بعد ما ذهب يعني أكثره بأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وأبي نعيم الاستراباذي[1].

---

(١) سورة ق، آية: ١٥.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٠.

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٤٢٩١ في كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ١٠٩/٤، وقد استوفينا تخريجه في تحقيق رسالة "قراءة البسملة أول براءة " لملا علي القاري، المنشورة في مجلة الدراسات الإسلامية بإسلام آباد العدد الرابع المجلد الثامن والعشرون سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم ٨٧١٠ ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: فيه صدقة ضعفوه ٢٥٦/٤، وأبو نعيم في الحلية ٣٥٧/٢ وغيرهم.وقال العزيزي في السراج المنير ٧٦/٣: وإسناد أحمد صحيح، وكذا قال المناوي في التيسير ٤٨٥/١، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف ٣٢٨/١٤.

(٥) هو الإمام محمد بن سليمان، قال الذهبي: الفقيه الشافعي الأديب اللغوي، المتكلم المفسر النحوي الشاعر المفتي الصوفي، حبر زمانه، بقية أقرانه، هذا قول الحاكم فيه، وقال الصاحب

وقد سار في ضوئه علماء التفسير عبر القرون، ومن هنا تعددت مناهج المفسرين، وكثرت الإضافات التفسيرية السديدة، بما شغل حيزا واسعا في مكتبة التفسير في العالم الإسلامي.

غير أن هذا الفهم السليم لم يكن هو المقصود عند دعاة التجديد ولاسيما في عصرنا الحديث، وإنما يعنون به:

إعمال الفكر في فهم القرآن فهما جديدا، دون الرجوع إلى شئ من أفهام السابقين، من رجال المأثور والمعقول، أو التقيد بقواعد لغة القرآن، أو بشئ من الضوابط التي وضعها علماء أصول الفقه وعلوم القرآن[٢].

وهو مسلك غير حميد، أدى إلى تلاعب عجيب بالألفاظ، وجنوح عن المنهج السليم أفرز كما هائلا من الانحرافات الخطيرة في التفسير، الأمر الذي حدا برجال العلم والفكر في العالم الإسلامي للتصدي لذلك الضلال ورده ودحضه.

وقد أخذ هذا الفهم الجديد مسمى جديدا، في السنوات الأخيرة يقال له: "الهرمنوطيقيا" [٣]، وهي القراءة الجديدة للقرآن الكريم، حمل لواءه منكرون جدد، نحوا منحى من سبقهم في هذا الضلال، يقال لهم: الحداثيون!!

بن عباد: ما رأينا مثله ولا رأى مثل نفسه، توفي سنة ٣٦٩هـ رحمه الله تعالى. انظر تاريخ الإسلام ـ حوادث وفيات (٣٥١-٣٨٠) ص٤٢٣، الأعلام ١٤٩/٦.

(١) انظر تبين كذب المفتري لابن عساكر ص ٥٣، وفيه: بعد الصعلوكي: أم الشيخ الإمام أبا بكر الاسماعيلي.

(٢) انظر بحثنا: "القراءة الجديدة للقرآن الكريم .. بين المنهج الصحيح والانحراف المسيئ"، نشرته مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أفريقيا العالمية عدد ١١ سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

(٣) الهرمنوطيقيا تعني القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية، بمعنى إطلاق الحرية لقارئ النص في تفسيره دون الاحتكام إلى اللغة التي جاء بها، والسنة الشارحة للقرآن، وما أطبق عليه

المبحث الأول
أقسام التفسير بالمأثور وأهميته وحكمه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام التفسير بالمأثور، وأشهر ما ألف فيه.

يقسم العلماء التفسير بالمأثور على ثلاثة أقسام ، ومنهم من يضيف قسما رابعا، وذلك باعتبار مكونات التفسير، على النحو الآتي:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن، ويعد هذا القسم من أعلى مراتب التفسير، لأن الله تعالى أدرى بكلامه، وليس معنى تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير مفردة بمفردة أو جملة بجملة فحسب، وإنما تندرج تحته أنواع متعددة، مثل:

تفسير المجمل بالمبين، وتفسير المطلق بالمقيد، وتفسير العام بالخاص، والتفسير بالجمع بين ما يتوهم أنه مختلف وليس كذلك، والتفسير بالقراءات، وتفسير ما جاء موجزا بما جاء مطنبا، وتفسير إشكالات معينة ونحو ذلك مما هو مبسوط في مظانه في كتب علوم القرآن وأصول التفسير[1].

الثاني: تفسير القرآن بالسنة، يعني بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويأتي هذا القسم في الدرجة الثانية، لأن الله تعالى قد وكل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم مهمة بيان الكتاب وتوضيحه، قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}[2].

علماء التفسير في شتى العصور. انظر بحث الشيخ حسن الجواهري ص٣، المقدم إلى المجمع الفقهي في دورته السادسة عشرة.

(١) وقد فصلنا هذه الأنواع بأمثلتها في كتابنا: دراسات في التفسير ومناهجه.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

وقد بين صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله تعالى عنهم، كل ما يحتاجون إليه من كتاب ربهم، وأجابهم عما سئل عنه سواء من أصحابه أم من أهل الكتاب أم من المشركين، كما حل لأصحابه ما أشكل عليهم، ووضح ما غمض من ألفاظه، وإن كان ذلك على ندرة إذ هم العرب الخلص، وقد نزل القرآن بلسانهم.

وفي السنة الصحيحة جملة لا بأس بها من تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وما قيل في تفسير القرآن بالقرآن، يقال في تفسير القرآن بالسنة، حيث يندرج تحته أنواع متعددة، من تفسير المطلق بالمقيد والعام بالخاص وما إلى ذلك.

الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وذلك أنهم أدوا أمانة التبليغ، وأجابوا عما سئلوا عنه من كتاب ربهم تبارك وتعالى، ووضحوا ما غمض على الناس من آياته، فكانت أقوالهم في ذلك ثلاثة أقسام:

١- قسم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وصرحوا بذلك، وأسندوه إليه صلى الله عليه وسلم.

٢- قسم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرحوا بذلك ولم يسندوه لوضوح ذلك عندهم.

٣- قسم لم يسمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم اجتهدوا فيه، وفق مؤهلات الاجتهاد التي كانوا يتمتعون بها.

---

(١) جمع أخونا الفاضل الدكتور حكمت بشير في كتابه: "التفسير الصحيح" قدرا مباركا من تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء كتابه هذا في أربع مجلدات من القطع الكبير.

والأول واضح أنه من السنة المطهرة، والثاني يتأمل فيه، فإن ظهر أنه مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم ، كأن يكون مما لا مجال للرأي فيه، فحكمه حكم سابقه، وإن لم يظهر ذلك، وكان مما للرأي فيه مجال ألحق بالقسم الثالث الذي متى ما ثبت تعين الأخذ به لقيمته وأهميته.

وتتجلى لنا قيمة تفاسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم بكونهم[1] :

ـ شاهدي عيان لأحوال الوحي وقرائنه وأسبابه.

ـ أهل اللسان العربي، وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ـ أعلم الناس بعادات العرب وأحوالها وأخبارها.

ـ الجيل المثالي الذي لم يشهد التاريخ مثيلا لهم في علمهم وإدراكهم وسعة نظرتهم لأمور الحياة والكون والإنسان.

ـ صفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم، وشدة إخلاصهم.

ـ كبير محبتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم، وعظيم تضحيتهم لنشر دينهم.

حتى إن الحاكم أطلق القول بأن ما صح وروده عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم له حكم المرفوع[2] ، إلا أن غيره قيده بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو من الموقوف، قال الزرقاني بعد أن نقل ما تقدم عن الحاكم:

(ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه، أن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في

(١) انظر أصول التفسير وقواعده ص١١٧.

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٠، والمستدرك ١/٢٧، ١٢٣، ٥٤٢.

الفصاحة والبيان، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه[1].

هذه أقسام التفسير بالمأثور المجمع عليها بين علماء علوم القرآن وأصول التفسير، وهناك من يضيف قسما رابعا، وهو:

الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

ولا نطيل في الكلام عن هذا، ولنقتصر على ذكر القول الراجح في ذلك وهو: أن قول التابعي في التفسير ليس بحجة، فلا ينبغي الجمود عند قوله، ولا أن نعطل فهم القرآن، أو نحجم عن تفسيره اكتفاء بفهمه واستغناء بتفسيره، بل يجب أن يكون باب التأمل في الآيات مفتوحا، وذهن من أهّل لاستنباط ما فيها من أسرار ومعارف مشغولا، اللهم إلا فيما أجمعوا عليه، فإن الإجماع حجة ملزمة، وإلى هذا جنح الدكتور الذهبي رحمه الله تعالى حيث قال:

والذي تميل إليه النفس هو أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره[2]، وقد سبقه إلى هذا الإمام ابن تيمية حيث قال بعد أن نقل كلام شعبة بن الحجاج (أن أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير): يعني لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة[3].

---

(١) انظر مناهل العرفان ١٣/٢، وانظر البرهان ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر التفسير والمفسرون ١٢٨/١-١٢٩.

[3] انظر مقدمة في أصول التفسير ص ١٠٥.

أشهر ما ألف فيه :

لا يخفى على المشتغلين بالدراسات القرآنية أن الكتب المألفة في التفسير بالمأثور كثيرة، ولذا فليس غرضنا هنا عرض ذلك، وتفصيل القول فيه، وإنما أردنا أن نشير إلى أشهر ما ألف فيه، مما لم يمزج بغيره.

ولدى التأمل في هذا رأيت أن أشهر كتاب وصل إلينا في هذا وأعظمه هو التفسير المسند للإمام ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى، وذلك لمنهجه الذي حدد معالمه كما أعرب عن ذلك في مقدمته إذ يقول :

(فتحريت إخراج ذلك بأصح الأخبار إسنادا، وأشبعها متنا، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أذكر أحدا من الصحابة ممن أتى بمثل ذلك، وإذا وجدته عن الصحابة، فإن كانوا متفقين ذكرت أعلاهم درجة بأصح الإسناد، وسميت موافقيهم بحذف الأسانيد، وإن كانوا مختلفين ذكرت اختلافهم، وذكرت لكل واحد منهم إسنادا، وسميت موافقيهم بحذف الأسانيد، فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين، عملت فيما أجد عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم، جعل الله ذلك لوجهه خالصا، ونفع به)[1] .

وهذا كما ترى منهج دقيق محكم، قلما تجده في كتب التفسير بالمأثور، فابن جرير مثلا كان يجمع من الأسانيد ما وقف عليه غير مميز بين صحيح وسقيم، وكذا من المتون غير مفرق بين طويل وقصير.

واقتصار ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى على المأثور هو الذي سوغ لنا أن نجعله على رأس قائمة المفسرين بالمأثور، فابن جرير مثلا وإن كان تفسيره "جامع البيان" معدودا في كتب التفسير بالمأثور بل من أمهاتها، إلا أنه لم يقتصر فيه على

(١) مقدمة تفسيره (١/١٤٤-١٤٥).

المأثور، وإنما ضم إلى ذلك المعقول، وإنا لنجد في طيات تفسيره من القراءات وتوجيهها، والنحو والإعراب واللغة والشعر القديم، ومسائل الكلام، والفقه والاستنباط والمناقشة والترجيح الشئ الكثير، حتى كان ـ كما يقول الدكتور الذهبي ـ نقطة التحول في التفسير، ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأي[1]، في حين أنا لا نجد في تفسير ابن أبي حاتم شيئا من ذلك، حيث لم يمزج المأثور بغيره من ألوان التفسير، فأصبح بحق على رأس قائمة التفسير بالمأثور، ومن هنا جاءت أهميته في هذا الباب، أضف إلى ذلك شرطه الدقيق في منهجه المتقدم.

وهو القائل رحمه الله تعالى:

(فإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل، ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه النجباء الألباء، الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل رضي الله عنهم، فإن قيل: فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة، الذين خصهم الله عز وجل بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان)[2].

إننا إذا جعلنا القسمة ثلاثية:

١- تفسير بالمأثور.

٢- تفسير بالمعقول.

٣- ما يجمع بينهما من كتب التفسير.

ودققنا النظر في ذلك، أرى أنه لا يسعنا إلا أن نجعل تفسير ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى على رأس قائمة التفسير بالمأثور.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ٢٢٢/١.

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ٥،٢/١.

ذاك لأنه أهم وأشهر تفسير استقل بالمأثور، في حين أنا نجد ابن جرير يضيف إليه كثيرا من المعقول كما تقدم، وأما تفاسير المأثور الأخرى فهي تفاسير مختصرة كما هو معلوم.

ولذا رأيت أن أقتصر عليه من مناهج المفسرين بالمأثور- في هذا العرض والنقد- على كثرة ما وصل إلينا من ذلك.

المطلب الثاني

قيمة التفسير بالمأثور وأهميته

بعد الوقوف على تعريف التفسير المأثور وبيان المراد به، تتجلى لنا مدى أهميته، وضرورة العناية به، والوقوف عنده، والحذر من تجاوزه، وندرك أنه من أفضل أنواع التفسير، ولذا فقد كانت العناية به مبكرة، فكان أول علوم القرآن تدوينا، وكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا[1].

وإنا لنجد في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من دواوين السنة المطهرة، أبوابا خاصة بالتفسير، جمع فيها أصحاب تلك الكتب ما صح عندهم من التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على أهمية هذا النوع من التفسير، أنه سنام معرفة معاني القرآن وإدراك مراميه، وأنه لابد منه لمن أراد أن يستجيب لله تعالى فيتدبر كلامه، وكذا لمن أراد أن يفسر بالرأي يتحتم عليه أن يطلع على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني ونحوها من العلوم اللازمة، وهذه كلها لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح عن التفسير بالمأثور بل هي نابعة منه[2] .

إن قيمة هذا التفسير وأهميته إنما ترجع إلى قيمة مصادره الأصلية وأهميتها، ولا يخفى على الباحثين في الدراسات القرآنية، أن تلك المصادر هي أحسن طرق التفسير بلا خلاف كما نص على ذلك علماء علوم القرآن.

أما ما ثبت في القرآن نفسه، فأمره واضح إذ هو قول الله تعالى، والله جل وعلا أدرى بأسرار كلامه، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمراد نفسه من غيره[3] ، ولذا

---

(١) انظر علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر ص٧٤ .

(٢) انظر التفسير الصحيح ١/٥.

(٣) انظر مناهل العرفان ٢/١٣.

فقد عد العلماء هذا اللون من التفسير في الدرجة الأولى، وأنه من أعلى المصادر وأجودها، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن أصح الطرق في ذلك ـ أي في التفسير ـ: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر)[1].

وإذا علمنا أن تفسير القرآن بالقرآن لا يعني تفسير المفردات والجمل فحسب، وإنما يعني وجوها أخر من مثل: تفسير العام بالخاص، والمطلق بالمقيد، والمجمل بالمبين، وتفسير ما جاء موجزا بما جاء مطنبا، وتفسير إشكالات معينة، ونحو ذلك.

إذا علمنا هذا أدركنا أن ثمة قدرا لا بأس به يمكن تحصيله من هذا اللون من التفسير.

ومثل هذا يقال في تفسير النبي صلى الله عليه و سلم، الذي يأتي في الدرجة الثانية من ألوان التفسير، إذ هو المكلف بالبيان والشرح صلى الله عليه و سلم، وأن خير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم، مع أنا نقطع بعصمته وتوفيقه صلى الله عليه و سلم[2]، كما قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}[3].

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه ومندوبه، وإرشاده، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣.

(٢) انظر مناهل العرفان ١٣/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللآزم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته.

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله[1].

ويشير الإمام الشاطبي في موافقاته إلى مسألة مهمة في وجوب الرجوع إلى السنة لفهم القرآن فيقول رحمه الله تعالى:

إن السنة توضح المجمل وتقيد المطلق وتخصص العموم، فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة، وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالا في نظره، جاهلا بالكتاب، خابطا في عمياء، لا يهتدي إلى الصواب فيها، إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا النزر اليسير، وهي في الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل[2].

ويأتي بعد هذين المصدرين المصدر الثالث وهو تفاسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم، التي تقع في الدرجة الثالثة، والتي اشتملت على تفاسير كثيرة كانت الحاجة قد اشتدت إليها في زمانهم، لأسباب كثيرة منها[3]:

اتساع رقعة الإسلام، واختلاط العرب بغيرهم، مما أدى إلى اختلاط الثقافات الوافدة مع المسلمين الجدد بالثقافة الإسلامية وخاصة ثقافة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وفلسفة الشرق المتمثلة بالمجوس وغيرها، ودخول أناس جدد من

(١) جامع البيان ١/٧٤.دار المعارف بمصر تحقيق أحمد شاكر.

(٢) الموافقات في أصول الفقه ٤/٢١ .

(٣) انظر مناهج المفسرين في عصر الصحابة ص ٤١.

غير العرب في الدين الحنيف، ونشوء جيل من أبناء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم لم يعايشوا الوحي ولم يشهدوا وقائع التنزيل.

فهذه الأسباب وغيرها جعلت الحاجة ماسة إلى الرجوع إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لمعرفة الحق من الباطل، وتمييز الصحيح من غيره.

التفسير المأثور ليس محض نقل:

تجدر الإشارة والتنبيه هنا إلى أن التفسير بالمأثور لا يعني محض النقل، فلا يقال إنه لا جهد يذكر لمن يفسر به، وأن عمله مقصور على نقل الأقوال، وجمعها في مكان واحد، دون إعمال الفكر والتأمل، هذا غير صحيح، بل للعقل دخل فيه.

وذلك:

أن التفسير المأثور إن كان من النوع الأول وهو تفسير القرآن بالقرآن، فإنه لا يمكنه ذلك دون تأمل دقيق، وفكر ثاقب، سواء كان من باب تفسير آية بآية، أو من باب تفسير العام بالخاص والمطلق بالمقيد ونحو ذلك فكله يتوقف على التروي والتأمل، ولكن لا بد من أن نفرق بين تفسير القرآن بالرأي، وبين استخدام العقل في بيان تفسير القرآن بالقرآن، فتأمل[1].

وإن كان من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فإن للعقل أيضا دخلا في تمييز الصحيح من غيره، وتمحيص الروايات، والموازنة والترجيح، لينقل نقل المتدبر المتبصر، ولا يكون كحاطب ليل فينقل ما صح وما لم يصح، أو يضع الشئ في غير موضعه!! كما هو شأن بعض التفاسير

(١) ولذا فإنه لا يقطع بصحة هذا اللون من التفسير إلا إذا كان الذي فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولم يعلم له مخالف. انظر قواعد التفسير ١/١٠٩.

التي ملئت بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وبالإسرائيليات الباطلة التي لا يؤيدها شرع ولا عقل.

ولذا فإنا حينما ندعو إلى اعتماد المأثور، لا نريد بذلك اعتماده على كل حال وكيفما ورد، إنما نريد اعتمادا قائما على النظر والتأمل والتمحيص والنقد.

المطلب الثالث

حكم التفسير بالمأثور من حيث القبول والرد

بعد أن بينا أهمية التفسير بالمأثور، ونقلنا طرفا مما قاله العلماء في ذلك، نبين في هذا المطلب حكم هذا النوع من التفسير، وهل يجب الأخذ به والوقوف عنده أم لا؟

وذلك ببيان آراء العلماء والنظر في أحكامهم، فمن ذلك:

ما قاله الإمام البغوي رحمه الله تعالى وهو يفسر قوله تعالى {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}[1]: أراد بالذكر الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبينا للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة[2].

ويقول الإمام الثعالبي رحمه الله تعالى: وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر[3].

وقد تقدم كلام ابن تيمية[4] في هذا الخصوص ـ وهو يبين أصح طرق التفسير ـ، وقد نقل كلامه ورضيه ابن كثير والسيوطي وغيرهما رحمهم الله تعالى جميعا[5].

وأما المعاصرون، فيقول الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي: يجب الأخذ بالتفسير بالمأثور إذا صحّ، ولا يجوز العدول عنه والله تعالى أعلم[1].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/٧٠.

(٣) انظر الجواهر الحسان ٣/٢٤٨.

(٤) انظر ص ١٧ في هذا البحث.

[5] انظر ما ذكره ابن كثير في مقدمة تفسيره لدى كلامه عن أحسن طرق التفسير ١/٦، وما ذكره السيوطي في الإتقان ـــ باب: النوع الثامن والسبعون في معرفة شروط المفسر وآدابه ٤/٣٤٣.

وينقل اهتمام السلف بالتفسير بالمأثور ووقوفهم عنده، واجتماعهم على ذلك فيقول:

لا خلاف بين السلف في قبول هذا النوع من التفسير والإشادة به، والاكتفاء بوروده عما سواه[٢].

ويقول الدكتور محمد زغلول: ولذا فقد اتفق العلماء على حجة الاعتماد على التفسير بالمأثور والأخذ به، إذا كان هذا المأثور الذي يفسر به القرآن قرآنا، أو سنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما قول الصحابة والتابعين فمن العلماء من قال بالاعتماد على أقوالهم في تفسير القرآن، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء المفسرين، وهو الأقرب إلى الصواب كما أرى[٣]، ثم نقل قول ابن كثير: (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال).

أقول: ذكر التابعين مع الصحابة في اعتماد التفسير فيه نظر، حيث إن الراجح أن أقوال التابعين ليست حجة في التفسير ـ إلا إذا أجمعوا ـ[٤]، ولذا نرى أن الحافظ ابن كثير اقتصر على ذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم[٥].

وكل ما تقدم من بيان الأهمية ووجوب القبول، والتحذير من الرد والإهمال والإغفال إنما هو لما صح سنده بنقل الثقات العدول، أما ما كان بخلاف ذلك ـ

---

(١) انظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور الرومي ص ٧٨.

(٢) انظر منهج المدرسة العقلية في التفسير ص ٣٣٤.

(٣) انظر التفسير بالرأي ـــ قواعده وضوابطه وأعلامه ص ١٠٥.

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمة في أصول التفسير ص ٤٥-٤٦: أقوال التابعين ليست حجة في الفروع، فكيف تكون حجة في التفسير.

(٥) انظر مقدمة تفسير ابن كثير ٧/١، وتمام كلامه: (التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح)..

فيجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به، اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه على ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد[1].

فقد أخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن مهدي رحمهما الله تعالى أنه قال: (لا يجوز أن يكون الرجل إماما حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شئ، وحتى يعلم مخارج العلم)[2].

(١) انظر مناهل العرفان ٢٢/٢، وقد عد النوع الأول من أقوى العوامل المساعدة على الاهتداء بالقرآن.

[2] حلية الأولياء رقم ١٢٨٣٩.

المبحث الثاني
العلاقة بين التفسير بالمأثور والتجديد

إن العلاقة بين التفسير بالمأثور وما يسمى بالتجديد، لم تكن علاقة واحدة، بل يمكن أن نقسمها على قسمين: علاقة هدم وإلغاء، وعلاقة إضافة وبناء.

وهذا في حال وجود التفسير المأثور الصحيح، وأما في حال عدم وجوده، فيرجع حينئذ إلى ما ذكره علماء علوم القرآن وأصول التفسير من الضوابط اللازم توافرها فيمن يريد أن يتصدى لذلك، ذاك أن القول في كتاب الله بغير علم محذور، وقد جاء الوعيد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وبناء على هذا تم تقسيم هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول، الهدم الإلغاء:

ونبدأ به لخطورته وعظيم ضرره، والمراد بالهدم والإلغاء هنا: طرح التفسير بالمأثور والعزوف عنه حتى لو كان صحيحا ثابتا، متى ما أشكل فهم ذلك أو بدا في ظاهر النظر أنه لا يتفق مع العقل أو التجديد والعصرنة.

وهذه فكرة متقدمة حمل لواءها دعاة المدرسة العقلانية، فقد كانوا حين يشكل عليهم حديث لا يترددون في تأويله، فإن قبل التأويل وإلا أبطلوه وكذبوه وطعنوا في رواته ولو كان في الصحيحين[2] !!

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٥١ في تفسير القرآن باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) انظر منهج المدرسة العقلية في التفسير ص٣٣٤، وانظر كتاب الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور الذهبي ص ١٥٩ في معرض رده على السيد رشيد رضا رحمهما الله تعالى الذي قال في تفسير قوله تعالى: {فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم} البقرة/١٦٢: ولا ثقة لنا في شيء مما روي في هذا القبيل إلى أن يقول: وإن خرج بعضه في الصحيح موقوفا

وقد فتحت هذه المدرسة باب شر على الأمة، أدى إلى ظهور ما يسمى بالقراءة الجديدة للقرآن الكريم، التي تجاوز دعاتها كل الحدود، ولم يلتزموا بشيء من القواعد والقيود، بل دعوا إلى التحرر من كل ذلك، فجاءوا بطامات لا مثيل لها في تاريخ الأمة الطويل!! وما المدرسة الحداثية وموقفها من النص القرآني عنا ببعيد[1].

وسنرى في ما نذكره من نماذج في المطلب القادم ما يدعو إلى العجب العجاب، فقد أدى بهم الخروج على المأثور إلى تخبط في الفهم لا نهاية له، بل إن منهم من أتى بما يستحيى من ذكره[(٢)].

ولم يقف سوء الفهم عند نوع معين من التفسير، ولكنه تناول العقيدة والأحكام عل حد سواء، فأفرز لونا جديدا من الفهم، تسميته بالانحراف والتبديل أولى منه بالتجديد والتطوير، بما لو أخذت به الأمة - وما كان لها أن تأخذ - لانسلخت من دينها، ودانت بدين جديد، غير الدين الذي جاء به محمد خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومرفوعا كحديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما، قال الذهبي: ولست أدري كيف ساغ للشيخ رشيد أن يرد حديثا صحيحا ورد في موضعين من صحيح البخاري ...إلخ.

[1] كان مما تيسر لي مناقشته في هذا الخصوص رسالتين علميتين لنيل درجة الماجستير، الأولى في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد تتعلق بالبرويزية ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، أعدتها الطالبة سعدية سلطانة، والثانية في جامعة الشارقة تتعلق بالمدرسة الحداثية وموقفها من النص القرآني، أعدتها الطالبة سلامة سلطان المهيري، ومن وقف عليهما ظهر له أن أكثر ما أفرزته تلك الأفكار لا يستأهل أن يذكر أو يعرض على مائدة البحث والنقد والمناقشة لتهافته ووضوح بطلانه!!

(٢) انظر ما سننقله عن شحرور بعد قليل.

المطب الثاني، الإضافة والبناء:

هذا مطلب مهم، يبين أن الدعوة إلى الأخذ بالتفسير المأثور، والاهتمام به، لا يعني الجمود عليه، والوقوف عنده، ولكن يعني الانطلاق منه والبناء عليه.

وكيف نقف عنده، والقرآن إنما أنزل لهداية الناس كافة في كل زمان ومكان؟ وهل وقف السلف حتى يقف الخلف؟ إن العلماء لو وقفوا عند المأثور لما رأينا المكتبة القرآنية تزخر بصنوف المؤلفات في التفسير من مخطوطات ومطبوعات.

إن الهدم والإلغاء شئ والإضافة والبناء شئ آخر، وإذا كان الأول مرفوضا على كل حال، فإن هذا مقبول ما دام يتسع له المقال.

ولذا فقد نص العلماء على أنه ينبغي أن يكون هو الركيزة التي يكون الانطلاق منها في التفسير ولا يصح تجاوزها بحال، إذ هو السبيل إلى الأمن من الغلط، والعصمة من الانحراف، والسلامة من القول في كتاب الله تعالى بغير علم.

قال الدكتور الشرقاوي:

((فالتفسير بالمأثور هو القاعدة الأساسية، والركيزة الجوهرية، التي ينبغي أن ينطلق منها كل مفسر)[1]، وفي هذا يقول الإمام القرطبي وهو يتكلم عن وجوه منع تفسير القرآن بالرأي:

(والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل..)، إلى أن يقول: (والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط)[2].

حتى السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى، الذي يمثل المدرسة العقلانية في عصره، أقر بأهمية التفسير المأثور، فقد قال في مقدمة تفسير المنار:

---

(١) مناهج المفسرين ص٥٥، للدكتور أحمد الشرقاوي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٤.

(وأما الروايات المأثورة عن النبي وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضروري أيضا، لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شئ، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذاك قليل)[1].

المطلب الثالث: نماذج من المنهجين في القديم والحديث ونقدهما.

ونظرا لضيق مساحة البحث المسموح بها في المجلات العلمية المحكمة، فسأقتصر على نماذج محددة لكل منهج، وذلك على النحو الآتي:

أولا: منهج الإضافة والبناء، بمعنى اتساع اللفظ للفهم القديم والفهم الجديد، وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا والحمد لله، خذ مثلا قوله تعالى: {أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون}[2]، ففي المأثور نجد أن الحاكم أخرج أثرا وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: فتقت السماء بالغيث، وفتقت الأرض بالنبات[3].

فهذا الأثر لا يمنع أن يضاف إليه ما توصل إليه العلم الحديث في زماننا مما يسمى بنظرية "لابلاس" أو نظرية "السديم" عند علماء الفلك، الذين يثبتون أن الشمس

---

(١) تفسير المنار ٧/١، وقوله: (والصحيح من هذا وذاك قليل) لا يسلم، بل قد صح من ذلك قدر لا بأس به، والحمد لله.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: قلت طلحة واه (٤١٤/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات والفريابي وعبد بن حميد كما في فتح القدير ٤٠٦/٣، وذكره ابن عطية ١٤١/١٠ دون أن ينسبه إلى ابن عباس مستشهدا بقوله تعالى: {والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع} الطارق١١و١٢ وقال: وهذا قول حسن، يجمع العبرة وتعديد النعمة، والحجة بمحسوس بين، ويناسب قوله تعالى: {وجعلنا من الماء كل شئ حي}، أي من الماء الذي أوجد الفتق، فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار.

والكواكب والأرض كانت قطعة واحدة، وأن الشمس كانت كرة نارية، وهي في أثناء سيرها السريع انفصلت عنها أرضنا والكواكب السيارة الأخرى[1] ، فالسموات والأرض كانتا كتلة واحدة ملتصقتين ، ثم فصلهما الله تعالى بقدرته القاهرة فصارتا على ما هي عليه الآن.

فلا تعارض بين هذا وما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ على فرض صحته ـ، وما درج عليه أهل التفسير في القديم، لإمكان الجمع بين المعنيين، والله تعالى أدرى بأسرار كلامه.

وخذ أيضا كلمة الرمي التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير كلمة القوة في قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}[2] ، فلا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بالرمي أهم أنواع الأسلحة وأكثرها، نظيره قوله صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة)[3] ، و (الندم توبة)[1] .

---

(١) وتلك الكواكب تسعة مرتبة حسب قربها من الشمس، وهي: عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتوه، ولكل منها مدار حسب تأثير الجاذبية، وهي تجري في الفلك، وهي تسعة أفلاك دون السموات المطبقة التي يعيش فيه الملائكة، والفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء، أو هو مجراها وسرعة سيرها. انظر التفسير المنير ٤٤/١٧، وآيات الخالق الكونية ص ١٠٤، والمعجزات القرآنية ص ١٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠، والحديث أخرجه مسلم برقم ١٩١٧ عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على منبره ثلاثا: (ألا إن القوة الرمي)، في كتاب الإمارة ـــ باب: فضل الرمي والحث عليه ١٥٢٢/٣.

(٣) أخرجه النسائي في فرض الوقوف بعرفة من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله تعالى عنه ٢٥٦/٥، والترمذي برقم ٨٨٩ في كتاب الحج باب: ٥٧ وقال: والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ٢٧٣/٣-٢٣٨، وأبو داود في المناسك بأطول منه برقم ١٩٤٩ باب من لم يدرك عرفة

فكما أن ذكر عرفة لا ينفي اعتبار الإحرام والطواف وغيرهما من أركان الحج، وكما أن ذكر الندم لا ينفي اعتبار الإقلاع عن المعصية والاستغفار من لوازم التوبة، كذلك فإن ذكر الرمي لا ينفي اعتبار أيّ نوع من أنواع الأسلحة.

من هنا فإن إضافة مثل القوة الاقتصادية والسياسية والعلمية والصناعية ونحوها لا يعدّ تجاوزا لما ورد في تفسيرها من المأثور، بل هو إضافة حسنة ما دامت قد صدرت ممن توافرت فيه شروط التفسير(٢).

ونكتفي بهذين المثالين، للننتقل إلى النوع الثاني، وهو:

ثانيا: الهدم والإلغاء.

لعل شهوة التجديد، والشغف بالعصرية الحديثة(٣)، هي السبب الرئيس في إلغاء التفسير بالمأثور، وإعمال الفكر في فهم النص الكريم، ثم القول بنتائجه وإن كانت معارضة لما صح في ذلك من التفسير المأثور!!

ونماذج هذا النوع من التفسير كثيرة أيضا ولا حول ولا قوة إلا بالله، سواء كانت في تفسير كامل، أم في تفسير بعض الآيات.

١٩٦/٢، والحاكم في كتاب التفسير ٢٧٨/٢ وقال: هذا حديث صحيح و لم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

(١) أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٧٦/١، وفي النسخة المحققة برقم ٣٥٦٨ وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في كتاب التوبة والإنابة مختصرا ومطولا ٢٤٣/٤.

(٢) انظر كتابنا: أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم ص٨٦.

(٣) تقول المستشرقة الأمريكية مريم جميلة: إن البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة مصطلحات خاطئة، منها: مصطلح العصرية، وقد جنى هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى. انظر: "شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية" لعبد المتعال الجبري.

فنجد مثلا أن سيد طنطاوي جوهري رحمه الله تعالى قد أتى في تفسيره بعجائب، اقرأ مثلا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة}[1] وقوله: وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه[2]، ثم ساق تفسيرا طويلا لا يقبله ذو لب يعرف مرامي القرآن الكريم وأهدافه[3]، وقس على هذا منهجه في البحوث والنظريات والاكتشافات الحديثة، من تفاصيل الفلك وكواكبه ومداراته وذراته ومجراته في حركته وسكونه...إلخ[4]، وإن كان تفسيره لا يخلو من حكم ولطائف وفوائد تفسيرية مقبولة.

ومثله ما ذكره الدكتور مصطفى محمود في قضية تعدد الزوجات، حيث يقول: والواقع أن تعدد الزوجات للمسلم مشروط بشرط صعب وهو العدل {فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة}[5] ويؤكد الله استحالة هذا العدل {ولن تستطيعوا أن

(١) سورة البقرة، آية: ٦٦.

(٢) انظر تفسير الجواهر ١/٨٤-٨٩.

(٣) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ٢/٦٥٢-٦٥٨، وموقف السيد رشيد رضا في تفسير المنار من المعجزات الحسية وتأوليها بما لا تكون به معجزة تبعا لشيخه محمد عبده معروف، وفي آية البقرة هذه ١/٣٤٧-٣٤٨ يذهب إلى أن الآيات مسوقة لبيان حكم شرعي لا لبيان حادث تاريخي هو معجزة لموسى عليه السلام. انظر السابق ٢/٨١٠-٨١٣.

(٤) انظر اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره ص ٥٣، ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا ورده، إنما غرضنا عرض هذا المنهج ونقده.

(٥) سورة النساء، آية: ٣.

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم}[1] ، إنه الأمر الممكن الذي لا يقدر عليه أحد[2].

وهذا فهم خاطئ، وتفسير غير سليم، يؤدي إلى التناقض الذي يتحاشى عنه كلام الله تعالى كما هو ظاهر، سببه عدم الرجوع إلى أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم، وعدم التقيد بقواعد التفسير وضوابطه.

ومثله قول بعضهم: أراد المفسرون أن يجعلوا معنى الظلم في مثل هذه الآيات الشرك، وهو تعيين لا أرى ما يسوغه، وفي قوله تعالى: {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} قالوا: هو الشرك، ولا أستطيع أن أفهمه على هذا الوجه، فإن المؤمن لا يكون مشركا، إنما لبس إيمانه بذنوب، كالتي تدل عليها عبارة ظلم النفس، فيكون المعنى: ولم يلبسوا إيمانهم بذنوب يظلمون بها أنفسهم[3].

وهذا فهم غير سليم، أدى إليه عدم الرجوع إلى التفسير المأثور، ولو رجع إليه لرأى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فسره بذلك، ففي الصحيحين[4] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}[5] شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}، فقد بين صلى الله عليه و سلم للصحابة رضي الله تعالى عنهم أن ظاهر الآية غير مراد،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٢٩.

(٢) انظر القرآن محاولة لفهم عصري ص ٢٧٥.

(٣) انظر مجلة اللغة العربية ٨١/١٣.

[4] أخرجه البخاري برقم ٣٢ في كتاب الإيمان باب: ظلم دون ظلم ١٨٣/١، ومسلم برقم ١٢٤ في كتاب الإيمان باب: صدق الإيمان وإخلاصه ١٤٤/١-١٥-١١٥.

[5] سورة الأنعام، آي: ٨٢ وتمامها: {أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}.

وأن الظلم ليس على إطلاقه وعمومه، بل هو من العام الذي أريد به الخصوص[1].

والأدهى من هذا ما ذهب إليه المهندس شحرور فقد أدى به الخروج على المأثور إلى تخبط في الفهم لا نهاية له ولا حدود، بل قد أتى بما يستحيى من ذكره، فيقول في قوله تعالى: {ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن}[2]: إن جسد المرأة كله زينة، والزينة هنا حتما ليست المكياج والحلي وما شابه ذلك، وإنما هي جسد المرأة كله، ثم يقسم الجسد على قسمين: قسم ظاهر بالخلق، وهو ما أظهره الله تعالى في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين، وقسم غير ظاهر بالخلق، وهو ما أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها، وهو الجيوب المرادة بالآية الكريمة، فالجيوب في المرأة ـ على زعمه ـ لها طبقتان أو طبقتان مع خرق، وهي ما بين الثديين، وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين، وهذه كلها جيوب، فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها، ولذا قال: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}!!

ثم يقول: إن السبب في ذلك النهي {ولا يضربن بأرجلهن} هو لكي لا يعلم ما يخفين من زينتهن ـ وهنا الكلام عن الزينة المخفية وهي الجيوب ـ لأنها لا يمكن أن تعلم إلا إذا أرادت المرأة ذلك، فهذا يعني أن الله منع المرأة المؤمنة من العمل والسعي (الضرب) بشكل يظهر جيوبها أو بعضها، كأن تعمل عارضة (ستربتيز) أو تقوم برقصات تظهر فيها الجيوب أو بعضها ولكنه لم يحرم الرقص بشكل

(١) مناقشة هذا المثال والذي قبله تجده في بحثنا: تدبر القرآن بين المنهج السليم والانحرافات المعاصرة، المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ـــ العدد التاسع عشر سنة ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م.

[2] سورة النور، آية: ٣١.

مطلق بل حرم عليها إظهار الجيوب أو بعضها بشكل إرادي وهذا لا يحصل إلا من أجل كسب المال أو على شواطئ البحار[1] .

فانظر كيف نسف ما استقر عليه إجماع المسلمين على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان؟ منذ فسرته أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حين قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} شققن مروطهن فاختمرن بها)[2] .

فلو تأمل ما ورد من المأثور في هذا المجال لاحترم عقله ووقف عنده، وما سمح لقلمه أن يخط مثل هذا الهراء[3]، المؤدي إلى الهدم والإلغاء.

وخلاصة القول إن المنهج التجديدي الرافض للمأثور، المتحلل من القيود والضوابط، يعدّ معول هدم في الإسلام، يؤدي إلى ظهور إسلام جديد، غير ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وغير ما عرفه المسلمون على مر القرون، فلا يصح لذي علم أن يسكت عليه، بل يجب رفضه ورده بحزم وقوة.

(١) انظر الكتاب والقرآن ـــ قراءة معاصرة ص ٦١٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٧٥٨ في كتاب التفسير ٥١٠/١٠.

(٣) انظر إضافة إلى ما ذكره البخاري الآثار التي أخرجها ابن جرير ٩٧/١٨ طبعة دار المعرفة، وابن أبي حاتم الرازي ٢٨٠/٢ في تفسير سورة النور.

الخاتمة

نسأل الله تعالى حسنها

وبعد هذا العرض، رأيت أن أجعل خاتمة هذا البحث تتضمن أبرز النتائج في نقاط محددة، على النحو الآتي:

ـ إن التأمل في كتاب الله تعالى وتدبره أدى إلى ظهور ثروة تفسيرية ضخمة، تمثلت بمناهج المفسرين المتعددة.

ـ إن التفسير بالمأثور خير ما يمثل التدبر السليم لكتاب الله تعالى، لأهمية الأصول الثلاثة التي يقوم عليها.

ـ لدى النظر في كتب التفسير بالمأثور، يمكن أن نعدّ التفسير المسند لابن أبي حاتم الرازي على قائمة تلك الكتب، لما له من منهج دقيق محكم.

ـ إن الدعوة إلى التقيد بالتفسير بالمأثور، لا تعني الجمود عليه، وإنما الانطلاق منه والبناء عليه، متى ما اتسع اللفظ الكريم لذلك، وأمثلة هذا الاتساع كثيرة والحمد لله.

ـ ولذا فإن إعمال الفكر في كتاب الله تعالى للوصول إلى فهم جديد، أمر مطلوب ما لم يجنح عن المنهج السليم الذي التزمته أمة الإسلام على مرّ القرون.

ـ تتجلى ضرورة التقيد بالتفسير المأثور من نواح عدة، لعل من أبرزها: أنه عصمة من كثير من الانحرافات التفسيرية.

ـ إن الدعوة إلى التحلل من ضوابط التفسير وقواعده، تؤدي إلى منزلقات خطيرة، مما يحتم على أهل العلم الوقوف بوجهها بكل حزم وقوة.

ـ لقد أفرز المنهج التجديدي القائم على التحلل من القيود، والخروج على المأثور، كما هائلا من الانحرافات التفسيرية الخطيرة، وما كان لمثل هذا أن يسمى تجديدا، إذ هو بالانحراف والتبديل والتغيير ألصق منه بالتجديد والتطوير.

التوصيات والمقترحات:

١- أوصي بأن يعقد مؤتمر خاص بالتفسير المأثور، لبيان مناهجه ومدى أهميته، وإبراز جهود العلماء فيه قديما وحديثا، والكشف عن صحيحه وسقيمه.

٢- وأقترح الكتابة إلى الجامعات الإسلامية بأن تعنى بتدريس التفسير بالمأثور دراسة حديثية تفسيرية، تقوم على منهج تأصيلي نقدي يعنى به أهل التخصص.

٣- الدعوة إلى تجديد يبنى على الينابيع الصافية، والمعاني السامية التي قدمها سلف الأمة.

فهرست أهم المراجع

بعد القرآن الكريم.

ـ الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق الدكتور محمود القيسية ومحمد أشرف الأتاسي ـ مؤسسة النداء.

ـ أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم للدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي ـ دار البحوث وإحياء التراث ـ دبي ـ الطبعة الثالثة.

ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ أصول التفسير وقواعده الشيخ خالد العك ـ دار النفائس ـ دمشق.

ـ إعجاز القرآن والبلاغة العربية الأستاذ محمد صادق الرافعي ـ تحقيق عبد الله المنشاوي ـ مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

ـ الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) ـ دار العلم للملايين.

ـ بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي ـ مكتبة التوبة ـ الرياض.

ـ بحوث الدورة السادسة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي ـ دبي.

ـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي (ت٧٩٥هـ) ـ تحقيق الدكتور يوسف المرعشلي وغيره ـ دار المعرفة ـ بيروت.

ـ تاريخ الإسلام للإمام محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق د/عمر عبد السلام تدمري ـ دار إحياء الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ التعريفات للإمام علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ـ دار الكتاب العربي .

ـ التفسير بالرأي.. قواعده وأعلامه للدكتور محمد زغلول ـ مكتبة الفارابي ـ دمشق.

ـ التفسير الصحيح للدكتور حكمت بشير ـ دار المآثر ـ المدينة النبوية.

ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ـ دار إحياء الكتب العربية.

ـ تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) ـ دار الفكر للطباعة والنشر.

ـ التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي ـ دار الفكر المعاصر.
ـ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
ـ جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ دار المعارف بمصر.
ـ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) ـ دار إحياء التراث العربي.
ـ الجرح والتعديل للإمام ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) ـ دائرة المعارف العثمانية ـ الهند.
ـ الجواهر الحسان للإمام عبد الرحمن الثعالبي (ت٨٧٥هـ) ـ تحقيق الأستاذ محمد الفاضلي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.
ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم سيد طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) ـ تهران.
ـ سنن الترمذي الإمام محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) ـ دار إحياء الكتب العربية.
ـ سنن أبي داود الإمام سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ) ـ دار إحياء السنة النبوية.
ـ شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية ـ عبد المتعال الجبري ـ دار الاعتصام
ـ صحيح البخاري الإمام محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ـ دار أبي حيان ـ القاهرة.
ـ صحيح مسلم الإمام أبو الحسين النيسابوري (ت٢٦١هـ) ـ دار الكتب العلمية.
ـ علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين العتر ـ مطبعة الصباح ـ دمشق.
ـ القاموس المحيط للإمام مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) دار إحياء التراث العربي.
ـ قواعد التفسير جمعا ودراسة للأستاذ خالد السبت ـ دار ابن عفان، الخبر، السعودية.
ـ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة للمهندس محمد شحرور ـ الأهالي ـ دمشق.
ـ لسان العرب الإمام محمد بن منظور (ت ٧١١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت.

ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم (ت٤٠٥هـ) ـ مطابع النصر ـ الرياض.
ـ معالم التنزيل للإمام البغوي (ت٥١٦هـ) ـ دار المعرفة بيروت.
ـ مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) ـ دار القلم ـ دمشق.
ـ المعجم الوسيط إخراج إبراهيم مصطفى وغيره ـ دار الدعوة ـ إستانبول. تركيا.
ـ مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ـ تحقيق أ.د عدنان زرزور دار القرآن الكريم ـ الكويت.
ـ مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني ـ نشر قديمي كتب خانة ـ كراجي ـ باكستان.
ـ مناهج المفسرين للدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي ـ الرياض سنة ١٤٢٤هـ .
ـ مناهج المفسرين في عصر الصحابة للدكتور مصطفى مسلم ـ دار المسلم ـ الرياض.
ـ مناهج المفسرين للدكتور محمود النقراشي السيد علي ـ مكتبة النهضة.
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ تحقيق فواز أحمد زمرلي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
منهج المدرسة العقلية في التفسير للدكتور فهد الرومي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
ـ الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ) بشرح عبد الله دراز ـ دار المعرفة ـ بيروت.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري
(ت ٦٠٦هـ) ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.